والأسماك والطيور ، والبذور والأشجار ، والأعشاب والأثمار ، والدبابات والحشرات ، والناس والحيوانات ؟ بين ما يبصره وما لا يبصره وكلّها شريكه في حياته ؟ ما يأخذه منها إنما يأخذه من نفسه ، وما تأخذه منه إنّما تأخذه من نفسها . وفي الحالتين هو العالم الأكبر يأخذ من نفسه ويعطي نفسه . لذلك لا يأخذ شيئاً ولا يعطي شيئاً . كما أن البحر لا يعطي الجبال شيئاً عندما يصعد إلى رؤوسها لينحدر من هناك جداول وسواقي وأنهاراً ، ولا يأخذ منها شيئاً عندما يسترجع تلك الجداول والسواقي والأنهار إلى صدره الواسع العميق . فهو المعطي والآخذ في الحالتين . وهو هو في كلّ حال .

أمّا الإنسان فعندما يأخذُ شطرُه الذي يدعوه « أنا » من شطره الذي يدعوه « العالم » لا يقول : قد أخذتْ نفسي من نفسي ، بل يقول : لقد غلبتُ العالم وسلبته خيراته . وعندما يأخذ « العالم » من « أنا » لا يقول الإنسان : لقد أعطيت نفسي من نفسي ، بل يقول : لقد سلبني العالم حقّي .

أجل ، عندما قال الإنسان : « أنا — و — العالم » عندئذ خلق من نفسه ضدّاً لنفسه . وإذ خلق لنفسه ضدّاً خلق ضدّاً لكل شيء . وأصبح ينظر إلى كل شيء بعينين : عين يرى بها « أنا » ، وأخرى يرى بها « غير أنا » . وهكذا ازدوجت الأشياء في نظره وهي واحدة . فأضحى لا يبصر شيئاً إلاّ أبصر